(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
2025 (حزيران), مجلد 3,عدد 2 ,الصفحات 119-136

الْمَكَانُ الْخَيَالِيُّ فِي شِعْرِ لِسَانِ الدِّينِ بْن الْخَطِيبِ

م.م. صامد كاظم عبيد [1]*

[1]وزارة التربية ،المديرية العامة لتربية ذي قار ، ذي قار، العراق

الملخص:

إنّ دراسة المكان في الشعر، هي محاولة لإثبات أهمية وشعرية النصوص الأدبية، وينبغي التنبيه إلى أن المكان هو أحد عناصر الشعرية وليس كل المكان، التي لا يمكن عزلها والنظر إليها منفردة، أي أن الإبداع في توظيف المكان في النص، ينظر إليه بوصفه نصا إبداعيا متكاملا، ويكشف عن درجة وعي الشاعر في التعبير عن حدة الصراع من خلال هذا التوظيف. ولسان الدين ابن الخطيب من أولئك الرجال الذين برز نجمهم ولمع، منذ أواسط النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وأصبح محور الحركة الثقافية بغرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس. وقد عرف عنه انه سياسي، مؤرخ، ناثر، شاعر. له مؤلفات عديدة عكست لنا سعة اطلاعه وثقافته الشمولية، تلك المؤلفات التي توزعت على: التاريخ، والأدب، والتصوف، والموسيقى، والطب... الخ ولم يصل الينا منها إلا الشيء القليل، ولأهمية المكان في الشعر وأهمية الشاعر في عصره فقد تم اختيار هذا العنوان (المكان الخيالي في ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني) وهدف الوقوف على خصوصية المكان المتخيل في شعر لسان الدين ابن الخطيب واستحضار التشكيل الفني للمكان عند الشاعر. اما المنهج المستخدم هو المنهج. الوصفي. التحليلي ويعتمد على دراسة المكان المتخيل وشعريته في ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني.

الكلمات المفتاحية: المكان، المتخيل ، الشعرية، لسان الدين بن الخطيب.

The Imaginary Place in the Poetry of Lisan al-Din Ibn al-Khatib

Asst. Lecturer. Samid Kazim Obaid[1*]

[1]Ministry of Education, General Directorate of Education, Thi Qar, Iraq

Abstract:

The study of place in poetry is an attempt to prove the importance and poeticity of literary texts. It should be noted that place is one of the elements of poetry and not all of place, which cannot be isolated and looked at individually. That is, creativity in employing place in the text is seen as an integrated creative text. It reveals the poet's degree of awareness in expressing the intensity of the conflict through this use. Lisan al-Din Ibn al-Khatib is one of those men whose star has emerged and shone since the middle of the first half of the eighth century AH, and he has become the focus of the cultural movement in Granada, the last Muslim stronghold in Andalusia. He was known as a politician, historian, publisher, and poet. He has many works that reflect to us the breadth of his knowledge and his comprehensive culture. These works were divided into: history, literature, mysticism, music, medicine... etc., but only a few of them have reached us. Because of the importance of place in poetry and the importance of the poet in his time, this title was chosen. (The imagined place in the collection of Lisan al-Din Ibn al-Khatib al-Salmani) The goal is to identify the specificity of the imagined place in the poetry of Lisan al-Din Ibn al-Khatib and to evoke the artistic formation of the place according to the poet. The method used is the method. Descriptive. Analytical and based on the study of the imagined place and its poetics in the collection of Lisan al-Din bin al-Khatib al-Salmani.

* **Email address: samed1055mm @gmail.com**

Keywords: place, imagination, poetry, Lisan al-Din ibn al-Khatib.

التمهيد:

أولاً : حياة الشاعر وشعره

"هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله السلماني[1] نسبة إلى سلمان،[2] ويكنى – أبا عبد الله - ومن القابه: لسان الدين، وذو الوزارتين (القلم والسيف)، تقلد وزارة القلم بعد وفاة أستاذه أبي الحسن بن الجياب عام (-749 ه)، وتقلد وزارة السيف بعد عودته من منفاه في المغرب عام (763 ه). كذلك لقب بذي العمرين لإصابته بداء الأرق، فكان يتولى أمور الدولة نهارا، ويشتغل بالتأليف ليلا، ولقب بعد موته بذي الميتتين، وذي القبرين، اشارة إلى فاجعة موته بسجن فاس، حيث قتل شنقا، ليلا ودفن بباب المحروق ثم نبش قبره، وألقي بجثمانه في النار وأعيد من جديد إلى قبره".[3]

كان مولد ابن الخطيب في عام (713 ه)، في لوشة حسب رواية ابن حجر العسقلاني وفي غرناطة حسب رواية المراكشي،[4] وتنتمي أسرته أصلا إلى حي مراد من عرب اليمن،[5] ثم هاجرت إلى الشام ثم إلى قرطبة بعد فتح الأندلس، وعرفوا بها ببني الوزير، وكانوا ذوي نباهة وفقه،[6] وتحولت أسرته إلى طليطلة بعد واقعة (الربض) الشهيرة عام (202 ه)، واستقرت بعدها في لوشة قبل سقوط طليطلة بأيدي الأسبان.

فأصبح جده (سعيد) قاضيا وخطيبا، ولعلمه وصلاحه لقب بـ (الخطيب) وتولى بعض مناصب السلطة بغرناطة، وعند وفاته عام (683 ه) عاد والد ابن الخطيب إلى لوشة، ونال الوزارة فيها، ثم أصبح فيها مشرفا على مخازن الطعام بغرناطة، في فترة السلطان أبي الوليد اسماعيل الأول عام (713 ه).[7]

وفي غرناطة نشأ ابن الخطيب وتربى، فحفظ القرآن وجوده على يد أبي عبد الله بن عبد المولى القيجاطي، ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على يد الشيخ الإمام أبي عبد الله بن الفخار الالبيري، وأخذ الشعر عن أبي بكر بن الحكيم اللخمي وأبي الحسن علي بن الجياب ودرس الطب والفلسفة على يد الشيخ أبي زكريا يحيى بن هذيل.[8] تولى ابن الخطيب الوزارة – لأول مرة – لدى السلطان أبي الحجاج يوسف بعد وفاة شيخه ابن الجياب عام (749 ه) بالطاعون الذي اجتاح الأندلس والمغرب العربي وبقي ابن الخطيب في وزارته بعد مقتل أبي الحجاج عام (755 ه) وتولى ابنه الغني بالله الإمارة، والذي كان صغير السن، فأصبح ابن الخطيب كما كان لأبيه أمين سره وسفيره للملوك ونائبه إذا تخلف. [9]

واستمر في خدمة الغني بالله إلى قيام الثورة ضده عام (760 ه)، وأبعد عن الحكم بلجوئه إلى المغرب. أما ابن الخطيب فقد بقي في وزارته عدة أيام في خدمة اسماعيل الذي خلف الغني بالله، لكنه ارتاب في أمره فسجنه، حتى تشفع له السلطان المريني أبو سالم، فذهب إلى فاس مع أهله واستقر بسلا أكثر من سنتين.[10]

وفي عام (763 ه) رجع ابن الخطيب إلى غرناطة وتسلم الوزارة بعد عودة الغني بالله الى الحكم، فاصبح صاحب الكلمة العليا لمدة عشر سنين، غير ان الحال تبدل فكثر حساده، وأخذوا يشون به لدى السلطان متهمينه إياه بالاستبداد والانفراد بالسلطة ومنافسته للسلطان على الحكم وبخاصة تلميذه أبو عبد الله بن زمرك، وابو الحسن القاضي النباهي[11] الذي رقاه ابن الخطيب إلى رتبة قاضي القضاة. وشعر ابن الخطيب بالخطر الذي يهدده ففر إلى بلاط تلمسان ثم إلى فاس بالمغرب عام (773 ه)، وقامت ضده ثورة في غرناطة وأحرقت كتبه واتهم بالتآمر على الغني بالله[12] والذي أجرى عدة محاولات لاعادته إلى غرناطة كي يحاكمه إلا ان السلطان أبا فارس المريني، حماه ورفض تسليمه. وبعد وفاة السلطان أبي فارس،

وفي عهد خلفه السلطان أبي العباس احمد بن سالم -والذي كانت تربطه علاقة صداقة ببلاط غرناطة- حكم ابن الخطيب بتهمة الالحاد والزندقة، في فاس وبها قتل.[13]

وعلى هذه الصورة المحزنة انتهت حياة ابن الخطيب، والتي كانت زاخرة بالأعمال الجليلة التي اشتملت التدريس،[14] وتسيير لأمور الدولة ومشاغلها، وتأليف لعدد من الكتب الجليلة، غير ان هذه الآثار تعرضت للحرق أثناء محنته الأولى بعد ابعاد الغني بالله عن الحكم عام (760 ه) وأحرقت ثانية عام (774 ه) بعد فراره من الأندلس واتهامه بالالحاد.[15]

ثانياً: ديوان شعره

من خلال وقوفنا على ديوان ابن الخطيب وجدنا ان هذا الشاعر قد نظم في موضوعات الشعر العربي كافة، كالمديح، والغزل، والرثاء، والفخر، والاخوانيات، والحكم، وموضوعات أخرى متنوعة.

وقد كان ديوانه حافلا بالقصائد الطوال والمقطعات والأبيات في أغراض مختلفة، وهذا دليل على مقدرته الشعرية وثقافته الواسعة برغم كونه رجلا كثير الأعباء لم تعقه أعباؤه هذه عن انتاجه الشعري.

وهذا الديوان كما يذكر لنا ناظمه – ومحققه،[16] لم يكن الأول لابن الخطيب، فقد كان لديه ثلاثة دواوين شعر غير هذا، ضاعت منه أيام محنته الأولى عام (760 ه) وكان اسم الأول (الصيب والجهام والماضي والكهام)، والثاني (الحالي والعاطل والمسعف والماطل)، أما الثالث فقد ضاع من المؤلف اسمه بضياعه. وقد فرغ الشاعر من ديوانه الأول (الصيب والجهام) عام (748 ه)، وضاع كما قلنا في محنته الأولى، فعاد وجمعه وانتهى منه وسط (770 ه) كما أشار هو، وأسماه على اسم الديوان السابق (الصيب والجهام والماضي والكهام)،[17] ليشفع صيبه من جهامه، وماضيه من كهامه على حد قول ناظمه.[18]

وقد اعتمدنا في دراستنا للديوان، الطبعة الأولى (سنة 1973 م – الجزائر) وهي بتحقيق محمد الشريف قاهر الأستاذ بكلية الآداب جامعة الجزائر.

وقام المحقق بالتقديم للديوان بدراسة حاول فيها الالمام بجوانب الموضوع والتي من شأنها أن تساعد أي قارئ أو دارس لهذا الديوان. وطبعة الديوان هذه تقع في قسمين، ضم القسم الأول الدراسة التي قدمها المحقق وهي في خمسة فصول أشار فيها إلى نشوء دولة بني الأحمر في غرناطة، والى الذين تولوا الحكم فيها إلى عصر ابن الخطيب ذاكرا حياة الشاعر وأهم الأحداث التي مر بها، مشيرا إلى نتاجه الفكري والأدبي. واحتلت هذه الدراسة الصفحات (13-223) ، أما القسم الثاني، فقد ضم مقدمة الناظم وشعره، واحتل الصفحات (225-668)، وبلغت مقدمة الناظم (أربع) صفحات.

يبدأ الديوان بحرف الهمزة وهو مرتب على حروف الهجاء – بترتيب الأندلسيين[19] ، وبلغت القصائد والمقطعات التي نظمها ابن الخطيب (348) قصيدة ومقطعة، أما عدد أبيات الديوان فقد بلغت (4634) بيتا، وبلغ عدد القصائد عموما (134) قصيدة بلغت قصائد المديح (63) قصيدة، و(48) مقطعة، و(7) قصائد في المديح النبوي والمولديات ومقطعتين.

المبحث الاول

المكان في الشعر الاندلسي

يبدو أن للمكان دورا فعالا في القصيدة الأندلسية، هذا الفضاء الذي ينبثق عنه العديد من الإيماءات و الرموز التي تسمح للشاعر أن يدخل إلى عالمه الشاسع الحافل بالذكريات والخيالات وبالتالي يصبح المكان انعكاسا لمجموعة من الأحزان

والأفراح التي تدخل في حلقة من حلقات حالته النفسية ليعبر عنها في أبيات شعرية على شكل لوحات فنية، وباقات شعرية مزينة بذكريات تبقى خالدة ومليئة بكل أنواع الحياة، فيبقى المكان يمثل ذلك الوجود الإنساني. يسعى الشاعر من خلال استدعاء المكان إلى خلق فني جديد للمكان فهو لا يسعى إلى تصوير ذلك المكان أو ذكر صفاته وحقائقه بل يعمل على إعادة خلقه من جديد مستلهما كل إيماءات ذلك المكان وما تفوح منه من دلالات تغني فكرة الشاعر وثقافته الشعرية. [20] لذلك يحاول الشاعر أن يستلهم أبعاد المكان الرمزية ومن ثم توظيفها في تجربته الشعرية بطريقة فنية إبداعية عن طريق مرجع المكان بخيال الشاعر، ومن ثم صياغته في لغة شعرية إبداعية تخلق مكان يتناسب مع العمل الفنّي متجاوزا فيه الوقائع إلى عالم الخيال . [21]

وبالتالي فإن الدلالات النفسية تختلف من دلالة إلى أخرى حسب الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر تجاه المكان، وهذا ما قاد بنا إلى تقسيم هذه الدلالات إلى ما يلي:

اولاً/ الحنين إلى المكان:

مما لاشك فيه أن الشعراء الأندلسيين الذين غادروا أوطانهم لا يعيشون في بلاد الغير كما كانوا يعيشون في بلادهم الأم. هذه البلاد التي اغتربوا عنها جعلت منهم أشخاصا منعزلين عن الوطن والأهل وديار الأحبة يعانون مرارة الوحدة التي أرقت قلوبهم ليقعوا في نهاية المطاف في بؤرة الغربة، هذه الغربة المفترسة التي أصبحت جزءا من حياتهم تلاحقهم أينما كانوا وحيثما وجدوا أنبتت فيهم حزنا مروعا وجرحا نازفا يدمي كلما تذكروا أوطانهم، فتغلغلت في أنفسهم جذور التوق والحنين والاشتياق إلى وطنهم فلم يجدوا سبيلا أو متنفسا لإراحة نفوسهم من هذا العذاب سوى إطلاق العنان ، والتعبير عن شوقهم للوطن وحنينهم للديار ومعاناتهم بعيدا عنها، كما هو الحال عند الشاعر الصقلي ابن حمديس الذي عانى كثيرا مرارة الغربة وبأسها نتيجة هجره عن بلده صقلية، ولكنها لم تمح من ذهنه بل بقيت راسخة يتذكرها في كل وقت وحين. إن صورة صقلية الجنة تتردد في كثير من قصائده، صورة الوطن القابعة وراء البحر والبحر يشكل حاجزار هيبا ضد العودة فهو في اقصائد أخرى، يذكر أنه حاول العودة مرارا دون جدوى، وفي إحدى المحاولات غرق المركب الذي كان يقله وغرقت جاريته جوهرة، إذ كلما حاول صباحا كلما تعرض له البحر مساءا بالمنع والإحباط، فتفشل كل محاولاته السيزفية في اللقاء وتبقى صقلية في وجدانه مجرد أمنية وحنين وحلم، [22]وفي هذا الطراز يقول ابن حمديس [23]

وَرَاءَكَ يَا بَحْرٍ لِي جَنَّةُ لِبَسَّتِ النَّعِيمُ بِهَا لَا الشَّقَاءُ

إذاً أَنَا حَاوَلَتْ مِنْهَا صَبَاحًا تَعَرَّضَتْ مِنْ دونِهَا لِي مَسَاءَ

فَلَوْ أَنَّنِي كَنَّتْ أَعْطَى الْمُنَى إِذَا مَنْعِ الْبَحْرِ مِنْهَا اللِّقَاءَ

رَكَّبَتِ الْهَلَالُ بِهِ زَوْرَقًا إِلَى أَنَّ أَعَانَقَ فِيهَا ذَكَاءً

فكلما أراد الشاعر العودة لوطنه يجد البحر حاجزا مانعا يرهقه ويصده عن العودة، فكلما وقف أمامه تنخطف نفسه و تفزع من شدة الحنين له، فكان وصفه رائعا، إذ جعل البحر نافذة يطل منها على الوطن متمنيا أن يجعل الهلال زورقا ليصل إلى صقلية تفاديا لركوب البحر الذي كان زيده خوفا ورهبة كما رأه، ونجده يخاطب البحر وكأنه إنسان يخفف عنه مرارة الغربة يشكو إليه ويتحدث عن حنينه إلى وطنه مشبها إياه بالجنة. ولقد أضرمت الغربة المرة في نفس الشاعر الصقلي سعير الحزن والأسى وقادت به إلى الابتعاد عن بلده وفقدانه لينتهي به الأمر وحيدا لا أنيس له سماؤه الحزن والألم وأرضه التشرد والعزلة.

إذن فهو ثائر في قصيدته ناقم مغيظ يتهجم على الزمن يتمور بذكر الخيانة ويهجو الصحراء وسكانها، ويأسى على غين ناله بها بعد وطنه، ويعلن أنه لا يجد من يأنس إليه لعله أحس أنه أصبح منبوذا يضيق الناس به شريدا غريبا لا وطن له حتى طيف خيال كان يزوره في المنام أصبح يصدّ عنه مزورا [24] وفي هذا الشأن يقول ابن حمديس : [25]

ولا سكن إلا مناجاة فكرة. كأني بها مستحضر كل غائب

ولما رأيت الناس يهب شرهم تجنبتهم ، واخترت وحـــدة راهــب

أحتى الخيال كنت احظى نوره له في الكرى عن مضجعه صد عاتب

فهل حال من شكلي عليه فلم زير. قضافة جسمي وابيضاض ذوائبي

لقد أمضى الشاعر سنين طويلة في الغربة حتى ابيضت فوائبه ولم تعد صورة الوطن سوى ذكرى أو طيف خيال يزوره ليلا وان الشاعر ليعجب أحيانا من غياب هذا الطيف ويتساءل هل صد عنه لتحوله أو لشيبه؟ [26]

إن اغتراب الشاعر عن وطنه وأرضه ومرور حقب و أزمنة طويلة، جعل قلبه يغلي من شدة الحسرة و الألم يعصر قلبه عصرا، و هذا ما يظهر تلك النبرة الحزينة التي طغت على نفسه وفي هذا الصدد يقول الصقلي : [27]

إذا عد من غاب الشهور لغبة عددت لها الأحقاب فوق الحقائب

إن غربة الشاعر ليست غربة عادية غربة شهور أو سنين معدودات، بل هي غربة السنين الطويلة والأحقاب المتوالية غربة الأفول و الغروب بعد الشروق والطلوع - [28] فعائقه إلى أرضه أنّها استعبدت وأصبحت ملكا لغير أهلها، بل لقد أسرت ووضعت الأغلال في أيديها وأرجلها، ولم تعد تستطيع خلاصا و لا فكا ولا تحررا، وقد ظفرت بها كلاب الأعداء تنهشها بعد جهاد أهلها لهم جهادا عنيفا ويمر بفتنتهم قبل غزو النورمان مرورا خاطفا. ([29] وفي هذا يقول: [30]

ولو أن أرضي حرةٌ لأَتَيْتُها بعزم يعد السير ضربة لازب

ولكن أرضي كيف لي بفكاكها. من الأسر في أيدي العلوج الغواصب

لئن ظفرت تلك الكلاب بأكلها فبعد سكون للعروق الضوارب

وقد التفت الشاعر إلى داره العريقة بنوطس وسرقوسة واستودعها الله وتعبيرا عن حنينه لوطنه وشوقه يقول: [31]

أَلَا فِي ضَمَانِ اللهِ دَارِ بنُوطَ. وَرَّتْ عَلَيْهَا عَصْرَاتِ الهواضب

أَمِثْلُهَا فِي خَاطِرِيّ كُلَّ سَاعَةِ. وَأَمْرِيٌّ لَهَا قَوْلُ الدُّموعِ السَّوَاكِبِ

أَحَنَّ حَنِينَ النّيبِ لِلْمَوْطِنَ الَّذِي مغاني غَوَانِيَهُ إِلَيْهِ جَوَاذِبِيَّ

وَمِنْ سَارِّ عَنْ أَرَضِ ثَوَى قَلْبِهِ بِهَا تَمَنَّى لَهُ بِالْجِسْمِ أَوْبَةَ آيِبِ

فبسبب شدة الشوق والحنين إلى صقلية أنشد الشاعر هذه الأبيات التي يظهر فيها نغمات الحزن والأسى، فقد غزى هذا المكان قلب الشاعر وذهنه، فأضحى يذرف الدموع السواكب ويحن حنين الإبل للموطن الذي نبت فيه، فأصبح المكان جزءا من مشاعره الكامنة في وجدانه وبقيت صقلية خالدة في فؤاده. ولم تترك الغربة الملعونة الشاعر أبدا، وإنما ثبتت جذورها في نفسه منذ ابتعاده عن وطنه، فقد كان الشاعر يظن أن هذا الفراق لن يطول ولكن خاب ظنه، وصدر إنذار بالفراق الأبدي من قبل الغربان حين نعقت وقالت بأن غربته ستطول .

ثانياً/النفور من المكان:

من المتعارف عليه أن المكان إذا كان حافلا بالأحزان و الآلام، فإنّه يعرض كل إنسان إلى النفور منه وكرهه فالإنسان بطبعه يحاول دائما البحث عن أمكنة تبعث في روحه الأمان والسلام والاستقرار، والابتعاد عن أماكن تكاد تخنقه ما يجعله يفقد أوكسجين الحياة كما هو الحال عند الشعراء، فمثلما أحبوا أماكن و عشقوها ، كرهو ا أخرى ورفضوها وتكروا الوجود فيها و البقاء، لعدم وجود الراحة والطمأنينة في أحضانها كالسجن الذي رمز له بالقبر والبحر وما يحمله من أهوال ومهالك تزرع الرعب في القلب، وهذا ما تحدّث عنه ابن حمديس حيث أنشد شعرا حافلا بأماكن تحمل عدة دلالات يعبر فيها عن كرهه لهذه الفضاعت والنفور منها. وبما أن السجن مكان مغلق فهو يؤدي إلى التأزم نفسيا ووجدانيا حيث يجعل الفرد يشعر بالضيق والاختناق اللذين يسطر ان على نفسه ولعل هذا المكان الممقوت بكل ما يحتويه من معاني الدفن و الانعزال هو ما قاد بالصقلي إلى اعتباره قبرا ويظهر حزنه وقلقه حين سجن المعتمد في سجن أغمات وبعث إليه رسالة يصف فيها حالته، وفي المقابل رد ابن حمديس أبياتا شعرية تفيض بالحزن و اللوعة يقول فيها : [32]

لن كنت مَقْصُورَا بِدَارِ عَوَتْهَا فَقَدْ يُقَصّرُ الضِّرْغَامُ و هُوَ هَصُورٌ

أُغَرِّ الْأَسْرَى أَنَّ يُقَالُ مُحَمَّدُ غَرِيبُ بِأَرَضِ الْمُغْرِبِينَ أَسَيْرٌ

تَنَافُسٌ مِنْ أَغْلَالِهَا فِي فِكَاكِهَا ويقصدم مِنْهَا بِالْمُصَابِ ذُكورٌ

وَكَنَّتْ مُسَجَّى بِالظِّبَا مِنْ سُجُونِهَا بِسُورٍ لَهَا إنَّ السُّجُونَ قُبُورٌ

إنّ الشاعر يصف الحال التي أصبح عليها المعتمد فبعد أن كان ملكا أضحى أسيرا لا يأبى به أحد، يعيش خلف القضبان عزله السجن عن كل شيء، وكبّل حريته وجعله أشبه بطائر مسجون يغرد واصفا حالته النفسية في هذا المكان المحاط بأربعة جدران، هذا القبر الذي يمنع جريان الهواء في الرئتين، فيجعل الفرد يكاد منعزل عن الحياة وكأنّه مدفون وهذا ما ترفضه الذات المحبة للحرية والعيش في أرض الله الواسعة. وقد انفطر قلب الشاعر لم سجن صديقه الحميم وز لزل كيانه، وسيطرت عليه عواطف الحزن لرؤيته مكبلا بقيود في رجليه ويديه، فصاح بأشعار تغمرها اللوعة والبكاء فقال: [33]

أباد حياتي الموت إن كنت ساليا وأنت مقيم في قيودك عانيا

ومن بين الأمكنة التي كرهها الشـاعر ونفر منها حمام وصف سوءه بقوله: [34]

وَحَمَامُ سُوءٍ وَخِيمِ الْهَوَاءِ قَلِيلَ الْمِيَاهِ كَثِيرَ الزحلم

فَمَا للقيلم قُعُودٌ بِهِ. وَلَا لِلْقُعُودُ بِهِ مِنْ قِيَامِ

ذَكَرْتُ بِهِ النَّارُ حَتَّى لِقَدِّ. تَخَيَّلَتْ إيقادها فِي عِظَامِيّ"

فقد تحدث الشاعر عن هذا المظهر مصور سوء حالها ورائحتها النتنة والماء فيها يكاد ينعدم، وضيق المكان لا يسمح للنّاس بالجلوس فيه، فهو ينفر من مثل هذه الأماكن. وللشاعر ابن حمديس مع البحر حكاية حزينة تتجلّى فصولها جميعا في صورة مأساة كبيرة ويمثل البحر الرافد الذي يغذي هذه المأساة بالهم والسهد والحيرة والدموع. " [35]

وعلى الرغم من أن البحر يحوي في أعماقه كل الأرزاق والطيبات إلا أنه يعرض راكبه للرعب و الخوف لأنه مكان محفوف بالمهالك والأهوال لتقلبه وغدره، فقد تعجب ابن حمديس من ركوب شخص لبحر يعرف مهالكه فيقول مخاطبًا له : [36]

أَرَاكَ رَكَّبَتْ فِي الْأَهْوَالِ بَحْرًا عَظِيمًا لَيْسَ يُؤَمِّنُ مِنْ خُطُوبِهِ

تَسْرِي فَلَكُهُ شَرْقًا وَغَرْبًا. وَتُدْفَعُ مِنْ صَبَاهِ إِلَى جَنُوبَهُ

وَ أَصَعَّبَ مِنْ رَكِبَ الْبَحْر عُنَّدِيَّ أُمُورٍ أَلَجَّأَتْكَ إِلَى رُكوبِهِ

فخوف الشاعر ورهبته منه جعله لا يؤمن به حتى لو كان هادئا فبالنسبة له، فإن ركوب البحر صعب وثقيل فهو ينفر منه ويكرهه، خاصة وأنّه كان حاجزا وعائقا يقف أمامه يصده عن العودة إلى الوطن وديارة، إذن فالبحر مصدر ينبثق عنه الظلم والجور.

فيصبح بذلك البحر عدوا لدودا له يمنعه من العودة الى جنته يقول: [37]

وراءك يا بحر لي جنة لبست النعيم بها لا الشقاء

إذا أنا حاولت منها صباحاً. تعرضت من دونها لي مساء

" وبقي ابن حمديس يعاني من البحر، واشتدت معاناته خاصة بعد تجربة غرق جاريته جوهرة وهو في غربته تصل إليه رسالة من ابن عمته أبي الحسين علي بن الحسين الصقلي طالبا منه العودة إلى بلاده، فهيأ نفسه للعودة مع جاريته وركب البحر لكن هذا الأخير غدر بهما فتحطَّم المركب ولم يرأف البحر بمحبوبته فالتهمها وسلب من الصقلي أعز خليلة فقال في ميميته هذه الأبيات: " [38]

أَلَمْ رَأْيِ الَّتِي اِشْتِيَاقًا إِلَيْكُمْ غَوَارِبَ مُخْضَرَّ الغولرب طَامٍّ

أَلَمِ اك فِي الْغَرْقَى مُشِيرًا بِرَاحَتِي فَلَمْ أَنْجُ إِلَّا مَنْ قَاءَ حَمَامِيٍّ

أَلَمْ أقدالشمس الَّتِي كَانَ ضَوْءَهَا يُدْلَى عَنِ الْأَجْفَانِ كُلَّ ظَلَامِ

طَمَّعَتْ بِهَذَا كُلُّهُ فِي لِقَائِكُمْ. لِتَغَيُّمُ نَفْسٍ أُتْلِفَتْ بِغَرَامِ

فهنا اتضحت أبعاد الصراع النفسي الذي تخبط فيه الشاعر، فقد غمر الحزن قلبه بسبب البحر الذي أخذ منه من كانت سببا في استمرار حياته ونجاته من شبح الغربة الرهيب، وأبرز القصائد الأربع التي حدثنا فيها عن تجربته المريعة هي رائيته التي جاءت في تسعة وعشرين بيتا تحكي احتباس الأنفاس وحشرجة الآهات واختناق العبرات وهي تفيض بمعاني التفجع والندب، [39] يقول ابن حمديس في الموضع: [40]

أيَّارُ شَاقَّةُ غُصْنِ الْبَانِ مَا هَصَرَكَ يَا تَالِفُ نَظْمِ الشَّمْلِ مِنْ نَثْرِكَ؟

وَيَا شُؤُونِي وَشَأْنِيَ كُلَّهُ حَيْنَ فِضَّيْ يَوَاقِيتِ دَمْعِيٌّ وَاِحْبِسِي دُرَّ ك ي

لَا صَبْرٌ عَنْكَ وَكَيْفَ الصَّبْرِ ظك وَقَدْ طَوَاكَ عَنْ عَيْنِيَ الْمَوْجِ الَّذِي نَشْرِكَ

هَلّا، وَرَوْضَةَ ذَاكَ الْحُسْنُ نَاضِرَةٌ، لَا تَلْحَظِ الْعَيْنَ فِيهَا ذابلار هُرْكَ

أَمَلَتْكَ الْبَحْرُ ذُو التَّيَّارِ مِنْ حَسَدٍ لَمَّا وَى الرُ مِنْهُ حَاسِدًا ثَغْرِكَ

فالشاعر يتحدث عن جاريته التي ابتلعها البحر وأماتها فبقيت غائبة عن نظره ولكنها لا تزال محفورة في قلبه ووجدانه، ولم يقدر على الصبر، فاشتدت كراهيته لمـوج البحر الذي أغرقها مشبها البحر بالإنسان الحسود وامتلأت عيناه بالدموع وهاهو يخاطب البحر بقوله: [41]

أَقُولُ لِلْبَحْرِ إِذْ أَغْشَيْتُهُ نَظَرِيٌّ مَا كَدَرِ الْعَيْشِ إِلَّا شُرْبَهَا كَدِرَكَ

هَلّا كَفَفْتُ أُجَاجًا مِنْكَ عَنْ أُشِرْ. مِنْ تَغَيُّرِ لَمْيَاءُ لَوْلَا ضَعَّفَهَا أَسْرُكَ

هَلّا نَظَرَتْ إِلَى تَفْتِيرِ مُقِلَّتِهَا إِنّي لِأَعْجَبَ مِنْهُ كَيْفَ مَا سَحَرِكَ

يجمع الشاعر في هذه الأبيات بين البحر غير العاقل، والبحر الإنسان الحسود فالكدر صفة من صفات البحر، وهي صفة ملازمة للبحر في نظر ابن حمديس فهو دائما يراه غاضبا هائجا كيف لا ؟ وقد عصفت أمواجه بحياة الشاعر فأحلت صفوها إلى كدر ونعيمها شقاء، ويوجه إلى البحر الإنسان الحسود خطاب الزجر والتوبيخ، كيف ينظر إلى جمال مقلتها دون أن يسحره هذا الجمال . [42]

ويبقى البحر مصدرا تنبثق عنه اللوعة والأسى مخلفا الكثير من الصور الحزينة التي بقيت راسخة في ذهن الشاعر ولم تنفصل عنه، خلصة صورة غرق خليلته التي تلاعبت بها أمواج البحر، يقول الشاعر : [43]

يا بــاقة في يميني للـدَى ذُلَت أذاب قلبي عليك الحزن والأسف

ألم تكوني لتلج الحسن جوهرة. لما وقت ، فهلا صَكَ الصَّفُ

وهنا تظهر حالة الشاعر النفسية حيث يظهر الأثر الذي خلفه فيه غرق محبوبته و أذاب قلبه الحزن والأسى، ما يؤكد تعقد الشاعر من البحر والغرق، كما أبصــر الموت في باقة ورد ذابلة فالذبول مظهر من مظاهر الموت .

المبحث الثاني

المكان المتخيل في شعر لسان الدين ابن الخطيب ودلالاته

اولاً/ الطبيعــة المتخيلة في الديوان

نما الشعر العربي منذ طفولته وازدهر في أحضان الطبيعة . وقد كان هذا الشعر ذا صدى عميق للبيئة العربية بخيرها وشرها في أحسن أيامها خصوبة ونعيما وأشقى أوقاتها بؤسا وضيقا . [44]

عبّر شعراء المشرق، على امتداد العصور، عن رؤيتهم للطبيعة من خلال ما كانت تجود به عليهم بيئتهم من مشاهد ومظاهر متنوعة. فقد استلهموا في شعرهم عناصر الطبيعة الحية والجامدة على حد سواء، مثل النباتات والأشجار والزهور والأعشاب، إلى جانب تصويرهم لمختلف أنواع الحيوانات، ومشاهد السماء بما تحويه من كواكب ونجوم وشمس وقمر، فضلًا عن الأرض وما تحتضنه من جبال وسهول وهضاب ووديان، وتجلّت أيضًا ظاهرة تعاقب الليل والنهار في وصفهم الشعري كرمز للزمن والحياة.

وقد كان شعراء العصر الجاهلي – بشكل خاص – أكثر ارتباطًا بالبيئة الصحراوية، حيث أبدعوا في وصف الصحارى والكثبان الرملية والواحات، ووقفوا كثيرًا عند مشهد السقيا، لما له من أهمية في بقاء الحياة، إذ يسهم نزول المطر في إخضرار المراعي، مما يضمن وفرة الزاد لحيواناتهم، وبالتالي استمرار حياتهم هم أيضًا. كما لم يغفلوا عن ذكر الأطلال

والديار القديمة، وما تبقى فيها من أثافٍ وأدوات، كانت تشكّل جزءًا من تفاصيل حياتهم اليومية خلال إقامتهم في تلك المواطن. [45]

أما في عصر صدر الاسلام والعصر الأموي ، فقد عد شعراء هذين العصرين مظاهر الطبيعة من الدلائل على عظمة الله تعالى، كما أخذوا يصفون المساجد ، والمآذن ، ودور المسلمين ، بدلا من ذكر الأصنام والأطلال التي كانت في عصر ما قبل الاسلام [46] ، وقد ازداد اهتمام شعراء العصر العباسي بأوصاف الطبيعة الخضراء اليانعة ، ومن هؤلاء أبو تمام[47] .

وعندما تم فتح العرب بلاد الأندلس واتخاذها وطنا لهم ، أعجبوا بجمال طبيعتها الخلاّبة وتفاعلوا معها ، فأخذوا يعبّرون عن هذه الطبيعة في أشعارهم ، فمزجوها مع المظاهر التي ألفوها في بلادهم حنينا ووفاء لها ، معجبين بما نقله إليهم الشعر العربي ، لذلك حرصوا على تضمين استهلالات قصائدهم وصف هذه المظاهر. [48]

ومن شعراء الأندلس وأعلامها البارزين ، الأديب ابن الخطيب الذي عشق الطبيعة وأحبها ، حيث حفلت غرناطة وهي موطن الشاعر بطبيعة جميلة ساحرة ، باشتمالها على جداول متساوية ، ورياض نضرة ، وحدائق منمقة ، وأزاهير فوّاحة ، وبساتين غنية بأنواع الأشجار ، وأطايب الأثمار ، فغدت لوحة رائعة الجمال صوّرها ابن الخطيب بقوله : [49]

بلد تحفّ به الرياض كأنه وجه جميل ، والرياض عذاره

وكأنما واديه معصم غادة ومن الرياض المحكمات سواره

ويظهر عشق الشاعر للطبيعة من خلال مزجه لها في شتى أغراض الشعر [50] ، فنادرا ما يخلو شعره من موضوعات الطبيعة والاستعانة بها في وصفه وتشبيهاته .

يُلاحظ في ديوان ابن الخطيب وجود ثلاثة استهلالات رئيسة تناول فيها مظاهر الطبيعة الحية، معبرًا من خلالها عن رؤيته الجمالية والوجدانية للعالم المحيط به. كما تتضمن بعض استهلالاته إشارات إلى الخمرة ومجالسها، وقد وردت في ثلاث مواضع جمع فيها بين وصف الخمرة، والغزل، ومظاهر الطبيعة، مما يُظهر قدرته على المزج بين الموضوعات بطريقة فنية رفيعة ، إلى جانب ذلك، تنتشر أبيات متفرقة في استهلالاته الطللية والغزلية، استعان بها في تشبيهاته وصوره البلاغية، وسنفرد لهذه التوظيفات حيزًا خاصًا في مبحث مستقل يتناول "الخمرة ومجالسها" ، أما عن المطر، فقد أولاه ابن الخطيب اهتمامًا خاصًا، معتبرًا إيّاه رمزًا للخصب والحياة المتجددة، لا سيّما حين يتصل بديار الحبيبة، حيث يتوسل نزول الغيث عليها بشغف وحرارة. ويأتي هذا التوسل غالبًا في إطار استهلالاته الطللية، كما في قوله... [51] : (الطويل)

سقى دارهم هام من السحب هامع ولا أجدبت تلكَ الربا والأجارع

وفضلا على المطر نجد مظهرين آخرين من مظاهر الطبيعة ، وهما : النسيم والريح وقد ورد الحديث عن هذين المظهرين على شكل بيت أو أبيات في بعض استهلالات الطلل والغزل والخمرة والخمرة الصوفية والرحلة ... فالنسيم اما ان يثير الأشواق وذكريات الحبيبة لدى الشاعر وذلك في الاستهلال الطللي والغزلي [52] : (الطويل)

إذا هزّ غصن البان عاطر نسمةٍ مع الفجر هزّتني اليك البواعث

أو يكون بمثابة المرشد على مكان الطلل ، وهذا ما نجده عندما سأل الشاعر الطلل عن أصحابه المرتحلين ، فأجابه بعدم معرفته عنهم شيئا وانه لولا النسيم الهاب عليه (أي على الطلل) لما عرف الناس مكانه ، يقول [53] : (الطويل)

ولولا نسيم دلّ طيب حديثه عليّ وآراج تضوّع للسفر

لما عرفوا مني المكان ولا بدت مثول طلول فوق كثباني العفر

وتارة أخرى يكون مرشدا على مكان بلاد الممدوح من خلال حمله رائحة نار القرى مصحوبة بثناء الوافدين على الممدوح ، فالرائحة والثناء يحملهما النسيم إلى الشاعر والمرتحلين معه لبلاد الممدوح ، يقول [54] : (الطويل)

وَإِلَّا فَمَا بَالِ النَّسِيمِ كَأَنَّمَا أَكَبَتَ عَلَى النَّارِ الْكِبَاءُ هنوده

تَأْرَجُ فِي الْآفَاقِ مَسْرَى هُبُوبِهِ كَمَا حَمَلَتْ عَنْهُ الثَّنَاءَ وَفَوْدَهُ

كما يبرز في شعره حضور الريح، ولا سيّما ريح الصبا، التي يمنحها الشاعر دلالات وجدانية ورمزية دقيقة. إذ يختار لحظة هبوبها في أواخر الليل، حين يكون النجم على وشك الغروب، لتكون إطارًا زمانيًا شاعريًا يستحضر من خلاله مشاعر الحنين والذكريات. فقد تلامس نسماتها الأزهار برفق، كما تلامس وجدانه المثقل بالذكرى والشوق، في تفاعل حسي وعاطفي بين الطبيعة والنفس.

وقد جسّد الشاعر هذا التصوير الرقيق في قصيدة أنشدها بين يدي السلطان أبي الحجاج سنة 736هـ، وهي قصيدة بلغت أربعة وخمسين بيتًا، حيث تتناغم فيها عناصر الطبيعة – كالنسيم والأزاهير والليل – مع مكنونات الذات، لتعكس بعدًا وجدانيًا رقيقًا يمهّد للغرض الرئيس في القصيدة. [55] : (الكامل)

نفحت فشبّت لافح التذكار والنجم نضو سرى وفلّ سفار [56]

وأتت محملة متون أحادث فاهت بهنّ مباسم الأزهار

هفافة يقضي لطيف هبوبها بتذكّرالأوطان والأوطار [57]

فضلوع مشتاق يشبّ وقودها ذكر العهود ودمع عين جار

لله ما قد هجت يا ريح الصبا وقدحت بين جوانحي من نار

وتمثل النجوم والكواكب والأبراج مكانا في شعر ابن الخطيب ، فها هم أحبابه وأصحابه يرتحلون في ظلمة الليل الذي كانت نجومه كالثريا التي اتجهت إلى برج السرطان وذلك في قصيدة أنشدها للسلطان أبي الحجاج يهنئه بعيد الأضحى عام (736هـ) وقد أشار إلى أنها من أوليات قصائده ، وبدأها باستهلال طللي ، حيث يقول [58] : (الكامل)

دار عهدت بها الشبيبة دوحة طيب الحياة بها [59] جنيّ دان

أيام جفن الدهر عنّا مطبق فيها . وأجفان السعود روان

غاض الزمان بها تنعم عيشةٍ فأحالها والدّهر ذو ألوان

وسروا وقد أقعى الظلام وغمّمت نهر الثريا غابة السرطان

ويقسم الشاعر في احدى قصائده ببعض مظاهر الطبيعة مستغلا ورودها في القرآن الكريم ، ليشير إلى عظمتها التي هي من عظمة خالقها ، كما يذكر النبي موسى (عليه السلام) ، كل ذلك كي يصل إلى غرض المديح ، حيث أنشد هذه القصيدة للسلطان أبي الحجاج في نيروز عام (736هـ) وبلغت أبياتها (53) بيتا ، أما الاستهلال بهذا القسم فبلغ (ثلاثة) أبيات ، يقول [60] : (المتدارك)

قسماً بالليل وما وسقا آيات البدر إذا اتسقا [61]

والنجم الثاقب حين هوى رجما ، والصبح إذا انفلقا [62]

وبنور الطور ، وقد أضحى موسى لجلالته صعقا [63]

تتجلى في قسم الشاعر بالليل والبدر والنجم والصبح، وهي جميعها مفردات تنتمي إلى معجم الطبيعة المرتبط بالسماء، دلالة واضحة على توظيفه لعناصر كونية ذات بعد رمزي وروحي. ويُضاف إلى ذلك استحضاره لجبل الطور، بما له من مكانة مقدسة وما ارتبط به من معجزات في النص القرآني، مستثمرًا هذا البعد القدسي لتدعيم غرضه الأساسي في المديح.

ويجدر التنويه إلى أن "الليل" يُعد من أكثر الألفاظ تكرارًا في مطالع قصائد الشاعر، وهو أمر لا يثير الدهشة حين نعلم أنه كان يعاني من داء الأرق المزمن، الذي ألقى بظلاله على تجربته الحياتية والشعرية، فجعل من الليل فضاءً حميميًا لبث آلامه النفسية وتأملاته الوجدانية.

وقد اقترن الليل كذلك في شعره بمواقف الفقد والحنين، خاصة في سياقات استهلاله الطللي والغزلي، إذ يصف لحظات رحيل الأحبة ليلًا، ويستدعي صورة طيف الحبيبة الزائر في عتمة الليل أو سحره الأخير. ويتجلى ذلك بوضوح في إحدى قصائده التي أنشدها في عيد الأضحى سنة 738هـ بين يدي السلطان أبي الحجاج، والتي بلغت أربعةً وستين بيتًا، حيث تنوعت موضوعات استهلالها بين التأمل الذاتي والتصوير الوجداني والتمهيد للمديح." [64] : (البسيط)

زارت ونجم الدجى يشكو من الأرق والزهر سابحة في لجة الأفق

والليل من روعة الأصباح في دهش قد شاب مفرقه من شدة الفرق

وإذ نعمنا برغم الدهر فيه وقد عض الأنامل من غيظ ومن حنق

بكل ساحرة الألباب آيتها أن تطلع الشمس في جنح من الغسق

تنازع الغصن لدنا في تأوده وتخصم الريم في الألحاظ والعنق [65]

والروض يجلو عذاريه وقد لبست عقائل الورق ديباجا من الورق [66]

كأنما الغصن فيه شارب ثمل بكأس مصطبح في الأنس معتبق

فكلما ارتاح هز العطف من طرب وجاد زهوا بمنثور من الورق

كأنما الدّوح والأغصان جائلة قد جادها كل جهم الغيم مندفق

أحبة راعها والثمل منتظم داعي الوداع فمن باك ومعتنق

كأنما الطل إذ طل الشقّيق به خدّ بصفحته رشح من العرق

همّت ثغور الأقاحي ان تقبّله فللبنفسج وجه الواجم الحنق

كأن أوراقه والريح تعطفها سواعد رفعت خضرا من الدّرق [67]

كأنما الآس آذان الجياد وقد شعرن بالرّوع في قفر من الطرق

كأنما النهر في أثنائه أفق والورد في الشط منه حمرة الشفق

فالطيف قد زاره والنجم سهران والكواكب سابحة في الأفق والليل يشارف على الانتهاء وكأنه شاب في مفرقه لخوفه من اقبال الصباح والشاعر قد تذكر أيام تنعمه مع الحبيبة متحديا دهره . تلك الحبيبة التي من آياتها طلوع الشمس في الغسق وتتثنى كالغصن وتفوق بجمال لحظها وعنقها جمال الريم ، وقد كان وصله معها في جو جميل حيث الروض يلبس حلته الجميلة ، والأغصان كأنها سكرى كلما توقفت عن الحركة هزّها الطرب راقصة تاركة أوراقها تتساقط على الأرض وحمام (الدّوح) تقف على تلك الأغصان المبللة بماء الغيم وكأنها أحبّة قد بكت وتعانقت عند سماعها نداء الوداع .

ويذكر الشاعر في هذا الاستهلال أنواعا كثيرة للأزهار ثم يصف حالها فيتحدث عن ورد الشقيق الذي أصابه الطلّ ، ويشبّهه بالخدّ الذي انتشر العرق على صفحته ، وفضلاً عن الشقيق هناك الأقاحي والبنفسج وكذلك الآس الذي يشبهه بآذان الجياد التي تنتصب عند سماعها صوتا يخيفها ، كما يذكر النهر الذي انتشر الورد على جانبيه . كل هذه التشبيهات والتصويرات تشكل لوحة جميلة حاول فيها ابن الخطيب ان يحشد ما يستطيع من مظاهر الطبيعة الجميلة التي تمتاز بها بلاده الغنية من أنهار ورياض جميلة . تلك الرياض التي يذكرها الشاعر دائما في مجالس أنسه وخمرته والتي تختلط فيها الخمرة بالطبيعة والغزل ، فمن أبيات صبوحية نظمها عندما أمره السلطان أبو الحجاج بذلك ، يقول [68] : (الكامل)

خُذْهَا وَقَدْ وَضَّحَ الصَّبَاحُ وَلَاحَا وَالرَّوْضَ يُهْدِي عُرْفُهُ النفاحا

مَازَالَ يَكْتُمُ مِنْ حَدِيثِ نَسِيمِهِ وَالْآنَ أَمْكُنِهِ الْحَدِيثَ فَبَاحَا

لَمَّا رَأَى جَيْشَ الصَّبَاحِ مُشَمِّرًا عَمَّتْ مُضَارِبُهُ رُبَى وَبِطَاحَا

وَالْأُفْقَ يَرْفَعُ مِنْهُ بَنْدًا مُذَهَّبًا وَيَسُلُّ مِنْ بُيْضِ الْبُروقِ صَفَّاحًا

سَلَّ الْجَدَاوِلُ أَنْصُلًا مَصْقُولَةً تَبْدُو، وَهَزَّ مِنَ الْغُصُونِ رَمَّاحًا

وَالزَّهْرَ تَسْقُطُ لِلْغُرُوبُ كَمَا ذَوَى زَهْرُ الرِّيَاضِ وَفَارِقِ الأدواحا

وَالطَّيْرَ يَدْعُو لِلصَّبُوحُ مُكَرَّرًا فَتَرَاهُ قَدْ نُفْضِ الْجَنَاحَ وَصَاحَا

فَكَأَنَّمَا الظَّلْمَاءَ طَرَفَ أَدْهَمَ أَخَذَ الْعَنَانُ فَمَا يُفِيقُ جِمَاحَا

فالشاعر يدعو ممدوحه لشرب الخمرة لأن أوانها قد حان ، وهو طلوع الصباح الذي يشبهه بالجيش الزاحف على الأراضي والبطاح ، وينير الأفق وكأنه يأخذ نوره من بريق الأسلحة ، حتى الجداول تبدو كأنها سيوف مصقولة ، اما الغصون فكأنها رماح تهتز والنجوم تتساقط كما تذوي الأزهار وتذبل والطير يعلن بصوته وطيرانه عن قدوم الصباح وانتهاء الظلمة .

ففي رياض كهذه تتم مجالس الأنس والخمرة لدى الشاعر ، وكأنه يريد ان يجمع كل ما في الطبيعة ويوظّفه في شعره .

ثانياً/ طيف الخيال في شعره:

إنّ طيف خيال الحبيبة الزائر من أقدم الموضوعات التي تناولتها المكان في القصائد العربية . وهو مرتبط بالليل وبالحبيب الغائب الذي يعوضه الطيف في زيارة تثير كوامن الشوق في نفس الشاعر[69] ، وفيها يتعجب الشاعر من زيارة طيف الحبيبة برغم بعد الدار ووعورة الطريق ، وكيف أن هذا الطيف اهتدى إلى مضجع الشاعر بدون ركاب ولا صاحب يهديه إلى الطريق وذلك الاهتداء يكون بمدة قصيرة برغم بعد المسافة [70] .

وهذا ما يقوله الشريف المرتضى في كتابه طيف الخيال . ومما نجده في كتابه عدة معاني في حق الطيف الزائر تمثلها الشعراء في شعرهم ، يقول : ومما يمدح به (يقصد الطيف) أنه زيارة من غير وعد يخشى مطله ويخاف ليّه وفوتُه ، وإنه وصل من قاطع ، وزيارة من هاجر ، وعطاء من مانع ، وللشيء بعد ضده من النفوس موقع معروف غير مجهول ، ومن مليح مدحه وغريبهِ ، أنه لقاء واجتماع لا يشعر الرقباء بهما ولا يخشى منع منهما ، ولا اطلاع عليهما ، والتهمة بهما زائلة ، والريبة عنهما عادلة ، وانه تمتع وتلذذ لا يتعلق بهما تحريم ولا يدنو اليهما تأثيم ولا غيب فيهما ولا عار، وأما ذم الطيف فانه قد يذم بأنه باطل وغرور، وانما هو كالسراب اللامع ، وكل تخيّل فاسد ، وربما ذمّ بأنه سريع الزوال وشيك الانتقال ، وبأنه يهيج الشوق الساكن ، ويذكر بغرام كان صاحبه عنه لاهيا وساهيا . وهذه المعاني في المدح والذم قد تتشعب وتتركب ،فيتولد بينهما من المعاني ما لا ينحصر ولا ينضبط بحسب قوة طباع الشاعر، [71] .

فالطيف عند الشريف المرتضى ممدوح مذموم ، وفيه مجال واسع أمام الشاعر كي يعبّر به عن قريحته وهذا ما فعله شعراء ما قبل الاسلام وتبعهم في ذلك شعراء عصر صدر الاسلام والمخضرمين وشعراء العصر الأموي . ونادرا ما أضافوا اليها معاني وصورا وذلك لقلتها لديهم . [72]

أما شعراء العصر العباسي ، فقد جددوا في بعض معاني هذه المقدمة فلم يذكروا المفاوز والإبل والسرى ، ومخاطر الرحلة إلا نادرا ، وراحوا يصورون فرحتهم بزيارة الطيف ورغبتهم في الاستغراق في النوم لاستقباله وشكره لشفائه غليل أشواقهم [73] . وقد لقي الطيف حظا من اهتمام الشعراء الأندلسيين في مقدمات قصائدهم التي اتبعوا فيها أسلوب المشارقة في التعبير عنها . [74]

وقد ذكر ابن الخطيب طيف الخيال في (أربع) قصائد ، واحدة منها ضم استهلالها عدة موضوعات مع طيف الخيال [75] .

يظهر "الطيف" في شعر الشاعر بوصفه رسولًا من الحبيبة، يتمنى الشاعر لو تأذن له محبوبته بالبقاء أطول مدة ممكنة معه، ليبوح له بما يجول في خاطره من شكاوى وأشواق، وليشكو إليه صدودها المتكرر. ويتجلى الطيف في شعره مرآةً تعكس ملامح الحبيبة التي تتميز بالدلال والتمنّع المفرط، إذ تُظهر الشاعر بمقام عالٍ حين تفديه بأبيها، في إشارة واضحة إلى مكانته في قلبها، إلا أنها مع ذلك تُمعن في الإعراض، مدركة أن قلبه رهين حبها، وأنها، لو شاءت، لوهبته وصالها وفكّت أسره بكلمة ، وقد ارتقى الشاعر بصورة الطيف إلى مرتبة شبه إعجازية، فشبّه وصاله بما عُرف عن المسيح عليه السلام من قدرة على الإحياء والشفاء، معتبرًا أن هذا الطيف يحمل في حضوره شفاءً له ولكل من يشاركه هذا الولع. وقد ورد هذا المعنى في قصيدة أنشدها الشاعر في ريعان شبابه بين يدي السلطان أبي الحجاج، وبلغ عدد أبياتها سبعةً وعشرين بيتًا، استأثر الطيف منها باستهلال مؤثر امتدّ على مدى ستة أبيات. ، يقول [76] : (الكامل)

" أدّى إليّ الطيف عنك رسالة فقرأتها ولو استطعت قريته

ما كان ضرّك لو أبحت مقامه؟ فبثثته شكواي أو ناجيته

قالت : فداك أبي ، فؤادك في يدي عانٍ ، ولو أني أشاء فديته [77]

طب المسيح لديّ منه مسحة أيقيم داء كلما داويته

أهدي لمن (يبغي) الشفاء من الجو فيفيق مضناه ويحيا ميته

بيدي حياة متيمي وحمامه فلكم تلافيت الذي أفنيته"

يمكن النظر إلى "الطيف" في هذا السياق بوصفه رمزًا مزدوج الدلالة، فقد يكون تمثيلًا مجازيًا للممدوح ذاته، إذ إن السلطان، بما يمتلكه من سلطة وهيبة ونفوذ، يُشبه في تأثيره ذاك الطيف الذي يهيمن على مشاعر الشاعر وعقله ووجدانه. ويزداد هذا التفسير وجاهة حين ندرك أن الشاعر قد وظّف الطيف وسيلة فنية للانتقال من غرض النسيب إلى غرض المدح، فجعل من قدرة الطيف على الوصل والشفاء تعبيرًا رمزيًا عن قوة الممدوح وفضله، حتى غدا الطيف ذاته مرآة للممدوح في أثره وسلطانه.

وفي موضع آخر، يستغل الشاعر الجانب الحسي للطيف، فيصف شَعره شديد السواد الذي جعله يشعر وكأنه غارق في ظُلمتين: ظلمة الليل، وظلمة شعر الطيف، مما يعمّق من الإيحاءات العاطفية التي يحمّلها هذا الحضور الخيالي. وقد بلغ به الشوق حدّ البكاء عند لقائه الطيف، حيث احتضنه وقبّله بشغفٍ عارمٍ، حتى خاف الطيف من لهفة الشاعر، غير أن الأخير طمأنه، وطلب منه الوصل بصدقٍ وانكسار، الأمر الذي دفع بالطيف إلى الخجل والتعاطف معه.

وقد عبّر الشاعر عن مدى تعلقه بالطيف من خلال أمنيته بأن يحلّ في بيته كما يحلّ كوكب الزهرة في بيت القمر، في صورة فلكية تفيض شاعرية وارتباطًا روحانيًا. لقد خاض الشاعر تجربة العشق حتى أقصاها، سكب فيها دموعه، واحتمل مرارة البعد وشوق اللقاء، إلى أن بلغ مراده بالوصال، مؤكدًا أن الصبر، وإن طال، محمود إذا تُوِّج بلحظة اللقاء.

جاء هذا كله في قصيدة أنشدها الشاعر بين يدي السلطان أبي الحجاج، بلغ عدد أبياتها اثنين وعشرين بيتًا، واحتلّ استهلال الطيف منها تسعة أبيات، شكّلت مدخلًا وجدانيًا عميقًا وممهدًا فنيًا للمدح الذي تلاها. [78] : (الرمل)

زار في ليلين ، ليل الدجى حالك الجنح ، وليل للشعر

فضممت الغصن من ثوب النقى ولثمت الراح من بين الدّرر

قلت : مهلا لا تروّع انما هي من دمعي لآلئ غرر

فاعتراه من كلامي خجل خلط الورد بسوسان الخفر [79]

حبّذا ليل نعمناه وقد حلّت الزهرة في بيت القمر

وحمدنا الصبر في الأمر وقد حمد العقبى محب قد صبر

والطيف لدى ابن الخطيب هو المداوي والشافي من السقم ، وابن الخطيب في قصيدة الطيف الزائر كأنه وجد متنفسا للخروج من طابع الحياة الرسمية التي يحياها حتى في شعره ، وأثناء تعامله مع الرعايا ومع ممدوحه ، ففي موضوع الطيف كان لديه المجال الفسيح ليعبّر عن الوصال دون أي رقيب عليه، فمن ذلك يقول : [80] (البسيط)

زَارَتْ وَنَجْمَ الدُّجَى يَشْكُو مِنَ الارق وَالزَّهْرَ سَابِحَةٌ فِي لُجَّةٍ الافق

وَاللَّيْلَ مِنْ رَوْعَةِ الاصباح فِي دَهِشٍ قَدْ شَابَ مُفْرِقُهُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْقِ

وَأَوْشَكَتِ انَّ تَضِلُّ الْقَصْدُ زَائِرَةٌ لَوْلَا انِي كَنَّتْ فِي بَاقٍ مِنَ الرَّمَقِ

قَالَتْ: تَنَاسَيْتُ عَهْدَ الْحُبِّ.قُلْتُ لَهَا: لَا وَالَّذِي خَلْقِ الانسان مِنْ عَلِقَ

مَا كَانَ قَطُّ تَنَاسَي الْعَهْدَ مِنْ شِيمِيّ وَلَا السُّلُوُّ عَنِ الاحباب مِنْ خَلْقِيّ

يفتتح الشاعر حكايته مع الطيف بوصف لحظة زيارته في أواخر الليل، حين كانت السماء لا تزال مرصّعة بالنجوم والكواكب، والكون يوشك أن ينتقل من الظلمة إلى أول خيوط الفجر. في هذا الوقت الهادئ، يُقبل الطيف عليه، في مشهد مفعم بالسكون والترقب، وكاد أن يضلّ وجهته لولا أن الشاعر استشعر حضوره فهبّ للقائه.

وتتجلّى ملامح شخصية الشاعر بوضوح في هذه القصة الشعرية، إذ يظهر فيها بطلاً فاعلًا إلى جانب ضيفه، ويُبنى بينهما حوار داخلي يحمل معاني الشوق والتبرير والوفاء. يشعر الشاعر بالحاجة إلى الدفاع عن نفسه، فيقسم للطيف بالله الذي خلق الإنسان، مؤكدًا أن نكران العهد أو الجفاء ليس من خصاله، وأن نسيان الأحبة لا يليق بطبعه ولا يتوافق مع أخلاقه.

ويواصل الشاعر نفي هذه التهمة عن نفسه، فيردّها بحزم من خلال التأكيد المتكرر على صدق مشاعره وثبات عهده، مما يضفي على النص بعدًا وجدانيًا عميقًا، يُظهر إخلاص الشاعر وصدق عاطفته، في مقابل عتب الطيف أو توجسه من تغيّرٍ غير مبرر.

كم ليلة بتّها والطيف يشهد لي لم تطعم النوم اجفاني ولم تذق

اشكو الى النجم من وهن أكابده حتى شكا النجم من وجدي ومن قلقي

فالليالي تشهد له بسهره الطويل بانتظار الطيف ولم تذق اجفانه طعم النوم ، والنجم شاهد على الشاعر لان الشاعر كان يشتكي له من سهره مما دفع النجم الى الشكوى من خوف الشاعر وقلقه .

ووجود الحوار في بيت واحد يدل على ان الشاعر استأثر بالنصيب الاكبر فيه من خلال رده على تشكك الطيف فيه وفي حبه لصاحبة الطيف .

الهوامش:

1. ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة: ج 4، ص 439؛ ج 3، ص 386؛ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج 5، ص 9
2. الموسوي، «كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة-دراسة تحليلية في نصه الشعري»: ص 8
3. التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج 2، ص 246؛ ج 7، ص 9
4. الزركلي، الأعلام: ج 3، ص 352
5. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: ج 7، ص 332؛ دائرة المعارف الاسلامية: ج 1، ص 150
6. التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج 6، صص 312-315
7. التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج 6، ص 315؛ مقدمة محقق السلماني؛ ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة: ج 1، ص 20؛ عنان، لسان الدين بن الخطيب – حياته وتراثه الفكري: ص 33
8. عن شيوخه التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج 5، ص 189؛ عنان، لسان الدين بن الخطيب – حياته وتراثه الفكري: ص 34
9. التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج 6، ص 318.
10. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: ج 7، ص 306؛ التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض: ج 1، صص 194-196؛ عنان، لسان الدين بن الخطيب – حياته وتراثه الفكري: ص 36
11. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: ج 7، ص 335
12. التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج 5، صص 122-125.
13. ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام (تاريخ اسبانيا الاسلامية): ص 314؛ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج 7، ص 47
14. عن تلامذته. التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج 7، ص 81
15. عن مؤلفاته. الوراكلي، «لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين»: صص 101-130
16. ابن الخطيب، ديوان الصيب (مقدمة المحقق): ص 119. حيث يشير إلى أن الناظم ذكر ان (الصيب والجهام قد ضاع مع اثنين آخرين له ولذلك عوضه بهذا وسماه باسمه الأول)
17. (الصيب): السحاب ذو الصوب كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّب مِنْ السمَاءِ﴾، والصيب هنا المطر. ابن منظور، لسان العرب: مادة صوب ص 543. (الجهام): السحاب الذي لا ماء فيه. ابن منظور، لسان العرب: مادة جهم، ص 111

(الماضي): مضى السيف مضاء، قطع. ابن منظور، لسان العرب: مادة مضى، ص 283 (الكهام): سيف كهام وكهيم: لا يقطع، كليل عن الضربة. ابن منظور، لسان العرب: مادة كهم، ص 659

[18] ابن الخطيب، الديوان، (مقدمة الناظم): صص 227-228

19. الترتيب هو (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، ه، و، لا، ى)

[20] الجبوري، المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين الموحدين ، ص 187.

[21] المرجع نفسه، ص 187.

[22] طحطح، الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي، ص 182 .

[23] ابن حمديس الديوان، مصدر سابق، ص 4.

[24] عباس، العرب في صقلية، دراسة في التاريخ والأدب ، ص 248 .

[25] ابن حمديس الديوان، مصدر سابق، ص 30 .

[26] فاطمة طحطح الغربة والحنين، مصدر سابق، ص 180 .

[27] ابن حمديس الديوان، مصدر سابق، ص30 .

[28] فاطمة طحطح الغربة والحنين، مرجع سابق، ص 180.

[29] ضيف، عصر الدول والإمارات (ليبيا - تونس - صقلية) ، ص 403 - 404.

[30] ابن حمديس الديوان، مصدر سابق، ص 31

[31] المصدر السابق، ص 33.

[32] ابن حمديس الديوان، مصدر سابق، ص 268- 269

[33] المصدر نفسه، ص 530 .

[34] ابن حمديس الديوان، مصدر سابق، ص 559-560

[35] علي مطشر ،نعيمة، خالد عبد الكاظم عذاري، صورة البحر ودلالتها في شعر ابن حمديس الصقلي (مجلة آداب البصرة (42))، 2007 م، ص 125

[36] ابن حمديس الديوان المصدر السابق، ص 8.

[37] المصدر نفسه، ص 4.

[38] المصدر السابق 434

[39] بهجت ، البحر في شعر الأندلس والمغرب في عصري الطوائف والمرابطين الرسالة الأربعون لحولية السابعة ، ص 33.

[40] ابن حمديس الديوان، مصدر سابق، ص212

[41] المصدر نفسه، ص 213

[42] نعيمة، صورة البحر ودلالتها في شعر ابن حمديس الصقلي، ص 130

[43] ابن حمديس الديوان مصدر سابق، ص 315

[44] تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والاسلام ، احمد عروات 111 .

[45] ينظر : الطبيعة في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسي (الكتاب كله) ؛ والمطر في الشعر الجاهلي ، أنور ابو سويلم (الكتاب كله) .

[46] ينظر : تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والاسلام (الكتاب كله) .

[47] عطوان ، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول 18 ، 59 و 145 ؛ ومقدمة القصيدة عند أبي تمام والمتنبي 71 .

[48] ينظر : الركابي ، الطبيعة في الشعر الأندلسي ، ؛ ومقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي 46-58 ؛ و غيداء ، (مقدمة المدحة الأندلسية بين ابن دراج القسطلي وابن حمديس الصقلي) 96 .

[49] التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب 507/6 .

[50] الامين ، شعر لسان الدين بن الخطيب وخصائصه الفنية 114 .

[51] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 326 : 1 – 2 .

[52] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 107 : 6 . و ينظر : في غير هذين الاستهلالين القصائد 159 : 6-7 ، 172 : 6 ، 315 : 6 ، 296 : 1-2 .

[53] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 244 : 11-12 .

[54] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 159 : 13-14 .

[55] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 242 : 1-5 .

[56] نضو : مجهد السفر ليلا ، والفل : المنهزم .

[57] الهف : السحاب الرقيق لا ماء فيه .

[58] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 311 : .

[59] في الأصل المطبوع (بيها) ، ولعل الصواب ما ذكرناه .

[60] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 334 : 1-3 .

[61] وسق الليل الأشياء : جللها ، اتسق القمر : استوى وامتلأ .

(4) في الأصل المطبوع (راجما) ولعل الصواب ما ذكرناه .

[62] ثقب الكوكب ونحوه : أضاء .

[63] صعق : غشي عليه .

[64] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 335 .

[65] تأوّد : تعوّج وتثنى .

[66] عقائل : جمع عقيلة ، السيدة المخدّرة .

[67] الدرقة : الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب ، ابراهيم ، المعجم الوسيط ، مادة (درق) .

[68] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 132 : 1-8 .

[69] القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري ، الظواهر والقضايا والأبنية 158/2 وما بعدها .

[70] ينظر : الشريف المرتضى ، طيف الخيال ، 6 ، 108 .

[71] الشريف المرتضى ، طيف الخيال ، 14-16 .
[72] ينظر : مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي : 104-106 ، 165-168 ؛ ومقدمة القصيدة العربية في عصر صدر الاسلام : 61 ؛ ومقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي : 189-191 .
[73] عطوان ، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول : 33-34 .
[74] بهنام ، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي : 33-36 .
[75] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 335 .
[76] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 106 : 13-18 .
[77] العاني : الأسير ، القاموس المحيط ، مادة (عنى) .
[78] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 265 ..
[79] الخفر : شدة الحياء ، القاموس المحيط ، مادة (خفر) .
[80] لسان الدين بن الخطيب ، الديوان ، 335 : 1 – 8

المصادر

1. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر دائرة المعارف الاسلامية .
2. ابن منظور (د . ت) .لسان العرب المحيط . أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة : يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت
3. ابن الخطيب ، لسان الدين (1955). الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، ج1 ، القاهرة (دار المعارف). وتحقيق : محمد عبد الله عنان ، اربعة أجزاء (ج1) ، ط2 ، 1973 ، والأجزاء الثلاثة الأخيرة ، ط1 ، 1394هـ – 1397هـ .
4. ابن الخطيب، لسان الدين . (1956). أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام (تاريخ اسبانيا الاسلامية) ، ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، القسم الثاني . دار المكشوف ، بيروت.
5. بهجت ، منجد مصطفى .(1406هـ - 1987م) .البحر في شعر الأندلس والمغرب في عصري الطوائف والمرابطين الرسالة الأربعون لحولية السابعة .
6. التلمساني ، احمد المقري . (1942) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ،. تحقيق : مصطفى السقار ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة.
7. الجبوري ، جمعة حسين يوسف . (1433هـ - 2012م) .المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين الموحدين ط 1 ، دار صفاء عمان مؤسسة دار الصادق الثقافية.
8. الركابي ، د. جودة. (1378هـ / 1959م) . الطبيعة في الشعر الأندلسي ، مطبعة جامعة دمشق .
9. شلبي، د. سعد اسماعيل. (د . ت) . مقدمة القصيدة عند ابي تمام والمتنبي ، مكتبة غريب ، القاهرة.
10. الطبيعة في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسي (الكتاب كله) ؛ والمطر في الشعر الجاهلي ، أنور ابو سويلم (الكتاب كله) .
11. طحطح ، فاطمة .(1993) . الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي، ط 1 كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
12. عباس ، د إحسان . (1975)، العرب في صقلية، دراسة في التاريخ والأدب، ط 2 ، دار الثقافة، بيروت – لبنان .
13. عطوان ، د. حسين (1970) . مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ،. مكتبة الدراسات الأدبية (50) ، دار المعارف بمصر.
14. عطوان ، د. حسين. (1987) مقدمة القصيدة العربية في عصر صدر الاسلام ، دار الجيل ، بيروت، ط1 .
15. عطوان، حسين. (1974) مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول ، دمكتبة الدراسات الأدبية (67) ، دار المعارف بمصر
16. علي مطشر ،نعيمة، خالد عبد الكاظم عذاري، صورة البحر ودلالتها في شعر ابن حمديس الصقلي (مجلة آداب البصرة (42))، 2007 م .

17. لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين ، مجلة كلية الآداب بتطوان ، 1987 ، العدد الثاني ، السنة الثانية .

18. نزهة جعفر حسن، (1995) كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة – دراسة تحليلية في نصه الشعري ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، اشراف : أ. د. حازم عبد الله خضر .

19. الهرامة، عبد الحميد . (1996م) . القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري ، الظواهر والقضايا والأبنية ، عبد الله. الجزء الثاني ، كلية الدعوة الاسلامية.